مساهمة المترجمين العرب والمسلمين في التأسيس والتنظير الترجمي

د/ أجقــو علــي
كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية
قسم الحقــوق
جامعة محمد خيضر بسكرة

ملخــص:

سنحاول في هذه الورقــة أن نتناول بالدراسة الدور الذي قــام بــه المترجمون العرب والمســلمون فــي التأسيس والتنظيــر الترجمي، هادفين الرد على تلك الكتابات التي ترى بــأن الحضارة العربية الإسلامية لــم تقــدم شيئا للإثراء الحضارة الإنسانية في هذا الحقل المعرفي الهام.

ما مدى صحة هذا الطــرح؟ الإجابة على هذا السؤال ستكون حجر الزاوية في هذه الورقة المتواضعة.

Résume:

La civilisation arabo-musulmane donnait un intérêt sans cesse grandissant a la traduction en tant que moyen d'interaction civilisationnelle. Et de ce fait , des moyens énormes ont été mis à la disposition des scientifiques pour traduire en premier temps tous les livres grecs , indiens etc.. et mettre ensuite les bases et les théories de la traduction. Malgré ces efforts consentis par les traducteurs arabes et musulmans, nombreux sont les écrits qui nient à ces traducteurs toutes participation au développement de la traduction en tant que filière scientifique indépendante.

Cette assertion, certainement fausse, trouve- telle sa confirmation dans les réalités historiques et civilisationnelles? Notre présent travail tente d'apporter une réponse à cette

مقدمة:

الترجمة تعد أحد الفضاءات التي شغلت بال الباحثين واحتلت حيزا واسعا من دراساتهم، على اعتبار أنها نافذة يتم عبرها تزاوج الثقافات واحتكاك بعضها ببعض، ومن ثمة يتسنى تخطي الحدود المفروضة. هذا المفهوم للترجمة قد وعاه المترجمون العرب في عصور هم الزاهية حينما كان حال لسانهم يردد بصورة واضحة وصريحة: "ولولا ذلك التعريب لما انتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان"(1).

والترجمة تاريخيا كانت بدايتها مشرقيا وليس أوروبيا أي في بلاد الرافدين:ففي الألف الثالثة قبل الميلاد عبر الملك الآشوري سرجون عن سروره في نشر تفاصيل انتصاراته وغنائمه بلغات عديدة في أنحاء الإمبراطورية الآشورية،(2) كما كانت بابل، في عهد حمورابي حوالي 2100 ق.م مدينة يتكلم سكانها لغات متعددة، مما حتم ضرورة وجود مركز للترجمة وهيئة من النساخين يقومون بكتابة الأعمال الرسمية للدولة وإرسالها إلى أقاليم هذه الإمبراطورية والبالغ عددها 120 إقليما، كل بلغته الخاصة(3).

وعندما ظهور الإسلام في جزيرة العرب وقيام الدولة الإسلامية، سعى بعض الصحابة لمعرفة المزيد من أخبار الأولين والتي كان الكثير منها عند بني إسرائيل، أذن لهم الرسول صلعم أن يأخذوا عنهم على اعتبار أنها أخبار تحتمل الصدق والكذب: فاستعان ابن عباس في تفسيره للقرآن الكريم بهذه الأخبار التي كان مصدرها بنو إسرائيل.

لقد سعى المسلمون الأوائل إلى تحصيل ما عند الأمم الأخرى من علوم تنسجم ومبادئ الدين الجديد انطلاقا وذلك بغية استكمال الشخصية العلمية العربية الإسلامية وقيام دولة العقيدة على أسس علمية وفكرية رصينة.

وهذه كانت بدايات التفاعل بين المسلمين وغيرهم من الأمم والشعوب التي امتازت بتنوع ثقافاتها وتعدد معارفها العلمية. غير أن هذا التفاعل، خاصة في الجوانب العلمية، كان محدودا في العصر الإسلامي الأول واستمر حتى نهاية العصر الأموي. ومرد ذلك ربما

يعود إلى الانشغال بالفتوحات و تدعيم أسس الدولة إداريا و مؤسساتيا. لكن رغم ذلك نرى هناك اهتماما وإن كان قاصرا على ترجمة بعض العلوم الدنيوية: فخالد بن يزيد بن معاوية هو أول من أمر بأن تترجم له كتب في الطب، النجوم والكيمياء(4)، أما هشام بن عبد الملك فقد أهتم بترجمة الكتب المتعلقة بأساليب الإدارة التي استخدمتها الإمبراطوريات القديمة ومن ثمة راح كتابه يترجمون له ما يحصلون عليه من معلومات تتعلق خاصة بالجانب الإداري والسياسي: فقام سالم رئيس ديوان الخليفة هشام بترجمة رسائل أر سطو إلى الإسكندر(5).

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أن ترجمة الأعمال الدنيوية لم تظهر في أوروبا ويتسع نطاقها إلا في العصر الحديث وبالضبط عام 1790 على يد العالم الاسكتلندي، الكسندر فريزر تايتلر، ومن ثمة أعتبر تايتلر نهاية عهد كامل للترجمة وبداية عهد آخر(6).

تعتبر هذه المحاولات التي قام بها الأمويون أول عمل ترجمي للأعمال الدنيوية(7) ليس في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية وحسب بل في تاريخ الحضارة الإنسانية على وجه العموم. غير أن هذه المحاولات تبقى، رغم أهميتها، محدودة جدا ولم يواصل من جاء بعد خالد و هشام الاستمرار في تشجيع وتطوير الميدان الترجمي. غير أن ذلك لا يجعلنا نقلل من شأن ما قام به الأمويون في مجال آخر وهو مجال التعريب(8): ففي زمن خلافة عبد الملك بن مروان و واليه على العراق الحجاج بن يوسف تم تعريب دواوين الدولة في الشام والعراق من الفارسية واليونانية.

أما عند قيام الخلافة العباسية فقد بلغ هذا التفاعل ذروته و تطور بالتالي ميدان الترجمة نتيجة ميل الجهات الرسمية(الخلفاء) والشعبية (العائلات الثرية)على حد سواء لمعرفة علوم جيرانهم من الفرس، الهنود، اليونان و العمل للحصول على التراث اليوناني في بلاد الرومان، وذلك عن طريق ترجمتها في نهاية المطاف إلى العربية.

لقد كان من آثار تشجيع خلفاء بني العباس للترجمة ورغبتهم في ترقيتها إلى علم وفن أن اتسع نطاقها و اشتغل بها كثير من العلماء نال بعضهم شهرة كبيرة في هذا

الميدان، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر أبو يعقوب الكندي، حنين ابن إسحاق، عمر بن فرخان الطبري و آخرون.

وحركة الترجمة أهتم بها أيضا وشجعها الخواص من الأثرياء وأصحاب البيوتات الكبيرة من أمثال عائلة ابن المنجم.

ونتيجة للتطور الحاصل في المجال الترجمي ونتيجة الاهتمام المتزايد بالعمل في هذا المجـــال، بات لزاما على الخلفاء إيجاد مؤسسة أو هيئة تعنى بشؤون الترجمة والمترجمين: فكانت خزانة الكتب في عهد المنصور و الرشيد وكانت بيت الحكمة البغدادي في عهد المأمون(9).

فما هي العوامل التي ساعدت على تطور الترجمة ؟ وهل أفضى ذلك التطور إلى تأسيس ترجمي؟ وهل اكتفى أولئك المترجمون بممارسة الترجمة والنقل أم جسدوا ذلك المجهود في التنظير الترجمي ؟ وإذا كان كذلك فإلى أي مدى يمكن اعتبارهم مؤسسين ومنظرين في الحقل الترجمي ؟ الإجابة على هذه التساؤلات ستكون حج الزاوية في هذا البحث المتواضع.

I-مراحل تطور الترجمة في العصر العباسي:

إن الترجمة العلمية المنظمة و المؤسسة ظهرت لأول مرة بشكل واضح في العصر العباسي:فقد قام العباسيون بنقل العلوم اليونانية، السريانية والهندية إلى اللغة العربية على نطاق واسع ومستمر.فبعد أن استقر الحكم لبني العباس في بغداد و أخذت الدولة العباسية الجديدة بالتوسع ظهرت الحاجة إلى معارف جديدة، كالطب، الحساب والهندسة، من أجل سد متطلبات حاجات جديدة للدولة منها جباية الضرائب و إقامـــة المشاريـــع المتعـــلقة بالعمـــران، الزراعة والري.لقد كان نقل هذه العلوم إلى العربية يتم بتشجيع من الخلفاء ويتم تنفيذه بواسطة عدد كبير من المترجمين اللذين يجيدون اللغات الأجنبية إلى جانب اللغة العربية.

لقد مرت حركة الترجمة في هذا العصر بثلاثة مراحل يمكن اختصارها على النحو التالي:

المرحلة الأولى: تمتد هذه المرحلة من خلافة أبي جعفر المنصور إلى نهاية خلافة هارون الرشيد، وتمتاز بترجمة كتب الطب.

المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي تشمل عصر المأمون حتى عصر المقتدر، وتتميز بترجمة كتب الرياضيات، المنطق والفلسفة.

المرحلة الثالثة: وتشمل هذه المرحلة فترة حكم الخليفة المقتدر وما بعده، وتتميز بترجمة الكتب في مختلف الفروع المعرفية.

II –عوامل تطور الترجمة في العصر العباسي:

لقد كانت هناك عوامل متعددة شجعت على انتشار الترجمة وزادت من عدد المهتمين بها بل المتخصصين فيها نذكر أهمها والذي يتمثل في:

1 -تشجيع الخلفاء:

إن الرغبة الشديدة التي كانت سمة مميزة لخلفاء بني العباس (أبو جعفر المنصور، هارون الرشيد والمأمون) في تشجيع الحركة العلمية عموما و الترجمية على وجه الخصوص قد أفضت إلى زيادة عدد المهتمين بالميدان الترجمي: فقد أظهر الأول اهتماما كبيرا بالترجمة ولذلك نجده يأمر بترجمة كتب أبقراط وجالينوس في المجال الطبي. أسند هذه المهمة إلى جورجيس، الذي أصبح بذلك أول مترجم للكتب الطبية(10)، وفي عهد الرشيد ازداد الاهتمام بالترجمة نتيجة توسع رقعة الأراضي المفتوحة وذلك بسقوط العديد من المدن الرومانية التي كانت تحتوي خزائنها على العديد من المؤلفات والمخطوطات اليونانية. لقد كتب الرشيد إلى قادة جيوشه وولاته على الأقاليم يحثهم على تشجيع العلم في جانبه الواسع بقوله: "من عمر مجالس العلم ومقاعد الأدب فاكتبوه في آلفي دينار من العطاء ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه في العلم فاكتبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء"(11). وكان قسم الترجمة، في عهد الرشيد، يشرف عليه أبو زكرياء يوحنا بن ما سويه(12)، الذي كلفه الرشيد بترجمة الكتب الطبية التي تم العثور عليها في المدن الرومانية خاصة عمورية، غير أنه في عهد الخليفة المأمون توسعت أكثر

حركة الترجمة من اللغات الأجنبية خاصة الإغريقية: فقد تم إرسال البعثات العلمية(13) إلى قبرص، صقلية و القسطنطينية للحصول على التراث الإغريقي خاصة ما تعلق بالفلسفة، الطب ، الهندسة والموسيقى. ومن بين أعضاء هذه البعثات نذكر على سبيل المثال(14): الحجاج بن مطر، ابن البطريق إضافة إلى القائم على إدارة ورعاية شؤون بين الحكمة، سهل بن هارون.

وحتى يعطى لعملية الترجمة بعدا رسميا دعم المأمون خزينة الرشيد ماديا ومعنويا وتمت ترقيتها إلى مؤسسة قائمة بذاتها تدعى بيت الحكمة. ومن بين أشهر المترجمين في عهد المأمون(15): الحسن ابن سهل، البلاذري ،ابن الفرخان الطبري وحنين بن إسحـــاق العـــبادي(16)، الذي كان مترجما ومراجعا لترجمات غيره .

و لتأكيد دور خلفاء بني العباس في تشـــيع الترجمـــة يقـــول الكـــازورني:" أخذ (أي المأمون) من جميع العلوم بقسط واستخرج من الروم كثيرا من كتب الطب فترجمت له واستخرج كتاب اقليدس فترجم له وعقد المجالس بين أهل العلم في الأديان والمقالات"(17)

2-اهتمام العائلات الكبرى:

إن الاهتمام بترجمة المعارف الأجنبية لم يكن أحد الإنشغالات المهمة لرجالات الدولة خاصة الخلفاء و إنما اهتم بها والعائلات الثرية ورصدوا لهذه الغاية أموالا طائلة، ومن بين هذه العائلات نذكر(18):

-عائلة ابن المنجم التي قدم أبناؤها، محمد، أحمد والحسن، الشيء الكثير من أجل الحصول على معارف وعلوم الأمم الأجنبية.

-عائلة إبراهيم الكاتب التي كانت تشجع العلماء على ترجمة المعارف الأجنبية خاصة المعارف الإغريقية.

الاهتمام بالترجمة لم يكن، في الواقع، حكرا على العائلات الكبرى وحدها بل شاركها في ذلك الأفراد كشيرشوع بن قطرب(19)، الذي كان يبذل جهودا مضنية في سبيل اقتناء الكتب المترجمة وفي مختلف المعارف.

هذا التشجيع وذاك الاهتمام المتزايدين من قبل الحكام والخواص بالعلم والعلماء كانت سببا رئيسيا في ظهور حركة ترجمة واسعة النطاق حولت بغداد إلى مركز عالمي للترجمة والتأليف وحولت قصور وبيوتات العائلات الكبرى إلى منتديات علمية وفكرية يتردد عليها العلماء وطلاب العلم من كل حدب وصوب.

وتبرز أهمية ودور بيت الحكمة من خلال دوره الكبير في ترجمة تراث الأمم الأخرى إلى اللغة العربية التي أصبحت الوسيلة الوحيدة والمهمة في ترجمة و إيصال هذا التراث الغني بالمعارف العلمية،الأدبية والفلسفية إلى أوروبا لاحقا. و هكذا تكون بيت الحكمة قد أنقذت التراث القديم من فناء محقق حيث بعثت فيه الحياة من جديد و وصل إلى أوروبا ليكون أساسا لنهضتها الحديثة بكل إنجازاتها.

3-الحرية الفكرية:

لقد حرص الخلفاء على ضمان الحرية الفكرية للعلماء العاملين في بيت الحكمة دون تمييز ، ضغط ، إكراه أو تعصب مهما كان نوعه: فقد كان ذلك عاملا شجع توافد الناس على بغداد من جميع الأقطار باعتبارها مركزا عالميا للحياة الفكرية والعلمية، حاملين معهم ألوانا من الفكر والثقافة ساهمت في إثراء الرصيد الفكري والعلمي في عاصمة العلم والفكر مدينة بغداد.

وهكذا وبفضل ذلك الجو تلاقت الأفكار المختلفة وتفاعل بعضها مع بعض ليتكون منها نتاج فكري جديد أساسه الحرية الصراحة في حوار العلماء، الأدباء، الفلاسفة والمفكرون. هذه الحرية الفكرية تجسدت فعليا في مجالس المناظرات الفلسفية، الأدبية والعلمية التي كانت تعقد في بيت الحكمة، وفي قصور الخلفاء: فقد كان الخليفة المأمون يقيم لنفسه مجلسا يحضره باستمرار حيث كان" يخلوا مع أولي النباهة في العلوم ويأنس بمناظراتهم و يلتذ بمذاكرتهم فينالون عنده المنازل الرفيعة والمراتب السنية وكذلك كانت

سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين و أهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والنسب، فأتقن جماعة من ذوي الفنون والتعلم في أيامه كثيرا من أجزاء الفلسفة وسنوا لمن بعدهم منهاج الطب ومهدوا لأصول الأدب.."(20). المناظرات التي كانت تشهدها المجالس المذكورة كانت تمتاز بشمولية موضوعاتها من جهة و بالمساواة ين الخليفة و مناظريه من جهة أخرى(21).

III-أهم ميادين الترجمة:

لقد شمل النشاط الترجمي مختلف المعارف الأجنبية من طب ، فلسفة، أدب ، فلك ...الخ. وتركزت هذه المترجمات على التراث الإغريقي خاصة. المعارف المترجمة يمكن حصرها في :

1-العلوم الطبية:

ترجمة الكتب الطبية لاقت اهتماما بالغا من طرف الحكام والأثرياء (22): ففي عهد أبو جعفر المنصور تم استدعاء الطبيب جرجيس بن يختشوع إلى بغداد والذي كان قد ألف كتبا في الطب بلغات عديدة (السريانية، الفارسية، العربية واليونانية)، حيث كلفه الخليفة بترجمة كتب الطب اليونانية إلى العربية و من جهته قام حنين بن إسحاق بترجمة كتب ابقراط وجالينوس في الطب(كان يجيد العربية، اليونانية والسريانية العلم والتربية ص.180). وفي عهد الرشيد قام يوحنا بن ماسويه(كان يجيد اللغتين العربية والسريانية وتعلم أصول استعمال اليونانية العلم والتربية ص. 180) بترجمة الكتب الطبية القديمة التي تم الحصول عليها من المدن الرومانية، كما تم في عهد الرشيد أيضا ترجمة كل التراث الهندي في مجال الطب.

لقد كان الخليفة هارون الرشيد شغوفا جدا بترجمة الكتب حيث أنه لم يجد حرجا في أن يدفع لأحد العلماء جزاء ترجمته 100 آلف درهم(23). غير أن أول من كافأ العلماء المتخصصين بسخاء هو الخليفة المهدي (24)، وأصبح بعد ذلك تقليدا سار عليه من جاء بعده.

2 -النجوم والفلك:

لقد كان الخليفة أبو جعفر المنصور شديد الاهتمام بعلم النجوم ومن ثمة راح يشجع على ترجمة الكتب الأجنبية في هذا التخصص. وكان من مشاهير المترجمين في هذا الفرع المعرفي إبراهيم الفزاري(25)، الذي أمره المنصور بتأليف كتاب يعتمد كمرجع في رصد حركة الكواكب. وقد أنجز الفزاري فعلا الكتاب و أطلق عليه "السند هند الكبير"، والذي ظل مرجعا مهما في علم النجوم. أما الخليفة المأمون فقد كان هو الآخر مهتما بترجمة الكتب الفلكية. هذا الاهتمام يتجلى في وضعه أحد شروط موافقته على عقد معاهدة الصلح بينه وبين قيصر الروم ميخائيل الثالث أن يتنازل له هذا الأخير عن إحدى مكتبات القسطنطينية الشهيرة حيث كان من بين محتوياتها كتاب بطليموس في الفلك، فأمر المأمون بترجمته إلى العربية وعنونه "المجسطي"(26).

3- الفلسفة:

لقد بدأ الاهتمام واضحا بترجمة التراث الفلسفي اليوناني إلى العربية في عهد المأمون، نتيجة لما أبداه هذا الخليفة من ميل إلى مذهب المعتزلة القائم على الفلسفة والمنطق. ومن ثمة أوفد خصيصا لهذه المهمة بعثة علمية للإطلاع على التراث الفلسفي اليوناني الموجود في الخزائن والمكتبات الرومانية، وكان من بين أعضاء هذه البعثة(27): الحجاج بن مطر، ابن البطريق، سلمان صاحب بيت الحكمة وغيرهم. ونتيجة لشغف المأمون بالتراث الفلسفي نجده بأمر بترجمة عامة لكل مؤلفات أر سطو ، حتى قيل أنه أنفق على ترجمة التراث اليوناني خاصة الفلسفي منه ثلاثمائة ألف دينار(28). لقد حث هذا الخليفة العالم الناس على المطالعة والاهتمام بحرفتي النسخ والتجليد. و كان من نتائج إقبال الناس على مطالعة ما ترجم وما ألف في موضوع العلوم الفلسفية أن ظهر فرع معرفي جديد يتمثل في علم الكلام والفلسفة الأفلاطونية الجديدة(29).

4-الآداب:

حركة الترجمة مست الجانب الأدبي أيضا خاصة الآداب الفارسية(30): فقد قام ابن المقفع، بأمر من الخليفة المنصور بترجمة كتاب كليلة ودمنة من الفارسية إلى العربية، حيث يعتبر أول كتاب تتم ترجمته في هذا المجال في العصر العباسي.

IV –أهم المترجمين:

لقد مكنت حركة الترجمة، التي تطورت وازدهرت خلال العصر العباسي، الناس من الإطلاع على التراث الأجنبي العلمي النادر، الذي ترجم من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية و أنفق في سبيل ذلك الأموال الضخمة:فقد كان المأمون ،على سبيل المثال، يعطي من الذهب وزن ما بتم ترجمنه من الكتب إلى العربية.هذه السياسة العلمية وتلك التشجيعات السخية ساهمت في بروز مترجمين زاد عددهم عن مائة (31)، ومن ثمة بات تصنيفهم وترتيبهم ضروريا.

لقد صنف ابن أبي أصيبعة المترجمين إلى مستويات ثلاثة: رفيعة متوسطة وضعيفة. وقد اعتمد في تصنيفه ذاك على مدى تحكم المترجم في اللغات أو على الأقل في لغتين: اللغة العربية(لغة الهدف) واللغة الأجنبية (لغة المصدر). وبناء على ذلك كان تصنيف المترجمين كما يلي:

الصنف الأول: يضم هذا الصنف مترجمين رفيعي المستوى والذين يمكن حصرهم في:

1–حنين بن إسحاق العبادي: يعد أشهر المترجمين إلى العربية حيث كان قديرا في ترجمته: فهو الذي أوضح معاني كتب أبقراط وجالينوس ولخصها أحسن تلخيص. وكانت براعته ومهارته في الترجمة أحد العوامل التي جعلت المأمون يتقرب منه ويشجعه على الترجمة والتأليف والمراجعة. لقد قام حنين بن إسحاق بترجمة 20 كتابا لجالينوس و 14 مؤلفا آخر إلى العربية (32)، كما كان له مؤلف في المنطق.

2–أبو زكرياء يوحنا بن ماسويه: لقد كان أشهر المترجمين في أيام الخليفة هـــارون الرشـــيد، الذي أوكل إليه مهمة ترجمة الكتب الطبية التي تم العثور عليها في أنقرة وغيرها من مدن الروم.لقد كان ابن ماسويه مترجما عظيم القدر في بغداد يجتمع في

مجلسه متخصصون في العلوم والآداب. لقد ظل ابن ماسويه يشتغل بالترجمة والتأليف إلى أن توفي في عهد الخليفة المتوكل (33).

ومن المترجمين رفيعي المستوى نذكر أيضا:

-الحسن بن سهل الذي كان أحد وزراء المأمون

-يحيى بن جابر البلاذري صاحب كتاب فتوح البلدان

-أبو حفص عمر بن الفرحان الطبري ، الذي كان أحد رؤساء التراجمة والمحققين بعلم النجوم.

-الحجاج بن يوسف بن مطر، الذي قام بترجمة أصول الهندسة لإقليدس في ترجمتين: الترجمة الهارونية والترجمة المأمونية.

الصنف الثاني: يضم هذا الصنف مترجمين ذو مستويات ترجمية متوسطة نذكر منهم:

-الأبرش

-ابن شهدي الكرخي: كان هذا المترجم متخصصا في الترجمة من اللغة السريانية إلى العربية.

الصنف الثالث: يضم هذا الصنف مترجمين ذو مستويات ضعيفة، نذكر منهم:

-فثيون الترجمان

-أبو نصل ناري بن أيوب

-حيرون بن رابطة.

ما هي الأسس التي اعتمدت من قبل ا بن أبي أصيبعة في تصنيف المترجمين إلى رفيعي المستوى، متوسطي المستوى وضعيفي المستوى؟ وهل يمكن اعتبار هذا التصنيف تنظيرا ترجميا ؟

لقد برر بن أصيبعة تصنيفه بأمور علمية اعتمدت من قبل المنظرين في الترجمة في العصور الأوروبية الحديثة:

-فبالنسبة للصنف الأول يضع ابن أبي أصيبعة معيارا مهما وهو معيار اللغة، حيث يرى أن المعرفة الجيدة للغة المصدر ولغة الهدف ضرورية جدا في عملية الترجمة. وعلى هذا الأساس نجده يضع حنين بن إسحاق في صنف المترجمين رفيعي المستوى حيث يقول:

"كان عالما باللغات الأربع غريبها ومستعملها: العربية، السريانية، اليونانية والفارسية ونقله في غاية الجودة" (34).

–و بالنسبة للصنف الثالث يرى ابن أبي أصيبعة أن ترجمته جاءت متوسطة المستوى لكون القائمين بها غير ملمين بالغريب والمستعمل من لغة النص الأصلي ولغة النص المترجم إليه.

–و أما بالنسبة للصنف الثالث فيرى ابن أبي أصيبعة أن ترجماته جاءت ضعيفة المستوى نظرا لأن أصحابها غير ملمين بعلوم اللغة العربية كما هو الحال بالنسبة لفثيون الترجمان.

V-التنظير الترجمي:

لم يكتف المترجمون العرب بالترجمة وحسب بل راحوا يبحثون على وضع ضوابط وقواعد للترجمة على اعتبار أنها علم وفن، وقد و فقوا في ذلك إلى حد بعيد:

1–ابن أبي أصيبعة:

زيادة على تصنيفه للمترجمين يضع مبدأين هامين للترجمة يلخصهما في التالي:

–على المترجم أن يكون متمكنا من لغة المصدر والهدف

–على المترجم أن يكون على إلمام واسع بعلوم اللغة العربية، أي لغة الهدف.

هذين العنصرين تضمنهما بحث إتيان دوليه المنشور عام 1546 حول الترجمة والذي أعتبر من طرف المهتمين بعلم الترجمة كأول بحث يتضمن نظريات ومبادئ واضحة للترجمة.

تصنيف ابن أبي أصيبعة ألا يعد تنظيرا ترجميا؟ مما لاشك في ذلك: فمن بين ما تشدد عليه نظريات الترجمة الحالية ضرورة إتقان المترجم للغة المصدر ولغة الهدف.

2–حنين ابن إسحاق:

اعتمد منهجا علميا في الترجمة وذلك بجمعه عدد من المخطوطات لمقارنتها مع بعضها ثم القيام بترجمتها بعيدا عن التقيد بالنص الحرفي على حساب المعنى مع مراجعة الترجمات السابقة لتصحيحها(36). حنين ابن إسحاق بمنهجه هذا يكون قد وضع نمطا

ترجميا يقوم على أساس وضع صياغة جديدة للنص (paraphrase) . وهو نمط ترجمي يهتم فيه المترجم بملاحقة المعنى والإحساس بدلا من الكلمات.

هذا النمط من الترجمة تحدث عنه دريدان عام 1860 حينما اعتقد بوجود ثلاثة أنماط من الترجمة(35) من بينها هذا النمط.

3-يحيا يوحنا البطريق:

اعتمد منهجا ترجميا يقوم على الترجمة الحرفية أي الترجمة المقيدة بالنـــص الأصلي (métaphrase). وهو نمط ترجمي يتوخى فيه المترجم ترجمة النص كلمة بكلمة ويترصده سطرا بسطر. وهذا نمط ترجمي أشار إليه دريدان أيضا.

4-عمرو بن بحر الجاحظ:

يعتبر أول من حاول أن يضع وبصورة مباشرة قواعد محددة للترجمة،سواء تعلق الأمر بنص معرفي عام، بنص ديني أو بنص شعري:

أ-ترجمة نص معرفي:

بخصوص الترجمة بصفة عامة يشدد الجاحظ على ضرورة أن يكون المترجم متمكنا من لغة المصدر والهدف ومثقفا بثقافتيهما، عارفا بمجتمع كلتيهما وعاداتهما وتاريخهما. وهذا نستنتجه من قول الجاحظ: "و لا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة ويكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيها سواء وغاية ".

ب-ترجمة نص ديني:

إذا كانت الترجمة بصفة عامة عملية صعبة وشاقة في النص المنثور وتزداد صعوبة تصل إلى حد الاستحالة في ترجمة النص الشعري، فكيف سيكون الأمر عندما يكون النص المراد ترجمته دينيا، بمعنى أنه ليس نصا عاديا من إنتاج بشري و إنما هو كلام إلهي و وحي ومن ثمة فهو مقدس لا يحتمل التحريف ولا التزييف. وقد أشار الجاحظ إلى هذه الصعوبة حين يقول هذا قولنا في ترجمة الكتب الدنيوية، فكيف يكون الحال لو كانت هذه الكتب كتب دين و أخبار عن الله عز وجل ومن ثمة ترجمتها تكون

صعبة للغاية لأنها تتطلــب دراية كبيرة، ومتى لم تكن للمترجم تلك الدراية قد يخطئ في تأويل كلام الدين والخطأ في الدين أضر من الخطأ في الرياضة والصناعة والفلسفة والكيمياء وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم.

ج-ترجمة نص شعري:

بخوص ترجمة الشعر يرى الجاحظ أن هذا اللون المعرفي ترجمته في غاية الصعوبة، حيث يقول: وفضيلة الشعر مقصورة على العرب وعلى من تكــلم بلــسان العــرب، والشعر لا يستطاع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل، ومتى حول تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب، لا كالكلام المنثور. والكلام المنثور المبتدأ على ذلك ، أي النثر المترجم أحسن و أوقع من المنثور الذي تحول من موزون الشعر. وقد نقلت كتب الهند وترجمت الحكم اليونانية، وحولت آداب الفرس فبعضها ازداد حسنا وبعضها ما انتقص شيئا لم تذكره العجم، أي الأمم الأخرى في كتبهم التي وضعت لمعاشهم وفطنهم وحكمهم.

الجاحظ يعتبر أسبق في استنتاجه بخصوص صعوبة ترجمة الشعر التي لم يدركها الغرب إلا خلال القرنين 17 و 18 حينما قام الشاعر ابرهام كاولي بترجمة قصائد بندرا الغنائية أين خلص إلى حقيقة مفادها صعوبة ترجمة الشعر :" إذا توجب على أحدنا أن يتولى ترجمة بندرا كلمة بكلمة فسيظن الناس أن رجلا مجنونا ترجم لمجنون آخر".

وعلى هذا الأساس أعتبر دريدان طريقة ترجــمة كــأولي لقصائــد بنــدرا بالمحاكاة (imitation) ، أي الترجمة التي لا يسمح فيها المترجم لنفسه بحرية تغيير الكلمات والمعنى وحسب ولكنه قد لا يقيد نفسه بالاثنين إذا ترآى له أن روح النص الأصلي تقتضي ذلك.

ألا يعتبر ما قاله كاولي بخصوص ترجمته لقصائد بندرا وتعليق دريدان على تلك الترجمة التي وصفها بالمحاكاة بأنه تأكيد وإقرار لما توصل إليه الجاحظ واعتراف بسبقه في إدراك مدى صعوبة ترجمة النص الشعري ؟

استنتاج: إن حركة الترجمة التي ازدهرت في العصر العباسي خاصة خلال عهد الخليفة المأمون ساهمت مساهمة عظيمة في توفير مادة علمية مهمة اطلع عليها المسلمون وغيرهم وعملوا على تحليلها، تصويب أخطائها والإضافة إليها، ثم وضعها في أماكن خاصة كبيت الحكمة البغدادي. لقد كان من نتائج حركة الترجمة هذه وضع اللبنات الأولى لعلم الترجمة، وذلك بوضع قواعد للعمل الترجمي سواء تعلق الأمر بنص ديني أم دنيوي.

وبفضل الترجمة تمكن العلماء المسلمون من وضع أسس المدنية ورفعوا أركانها وبفظلها ظلت كتبهم ونظرياتهم تدرس في أكبر جامعات أوروبا إلى عهد قريب: فقد ظلت كتب ابن سينا في الطب والفلسفة، و ابن الهيثم في الرياضيات والفيزياء، وجابر ابن حيان في الكيمياء، و الخوارزمي في الحساب والجبر، و البيروني في المعادن و الادريسي في الجغرافيا، وبني موسى بن شاكر في الفلك، و ابن البيطار في البيطرة ، الصيدلة والزراعة، وابن خلدون في التاريخ، الاجتماع وعلم العمران...، المراجع الرئيسية في مختلف جامعات العالم لعدة قرون.

استنادا لكل هذه الحقائق، هل يمكن للغة العربية أن تستعيد مجدها، بمعنى تصبح لغة العلم والنكنولوجيا في وقتنا الحاضر؟

الهوامش:

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان

(2) نيدا (يوجين): نحو علم للترجمة، ترجمة ماجد النجار، بغداد 1976، ص. 27

(3) نفس المرجع، ص. 28

(4) ابن النديم (محمد): الفهرست، الاستقامة –القاهرة، 352

(5) نفس المرجع

(6) أجقو (علي): محاضرات في الترجمة ألقيت على طلبة السنة الأولى آداب، جامعة تبسة، 2000-2001

(7) المرجع السابق

(8) أجقو ، المرجع السابق

(9) لمزيد من المعلومات حول بيت الحكمة نحيل القارئ الكريم إلى مقال خضر الدوري و غانم خلف، بيت الحكمة في بغداد وأثره في الحياة العلمية الثقافية العربية، مجلة التربية والعلم، عدد 7 1409/ 1989 ، جامعة الموصل-العراق، ص.ص. 167- 188

(10) ابن أبي أصيبعة(موفق الدين): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق رضا نزار، بيروت 1965 ، ج.1 ، ص. 279

(11) الجمرد (عبد الجبار): هارون الرشيد، بيروت 1956 ، ج.2 ، ص. 327

(12) الطرقجي (رمزية): "بيت الحكمة البغدادي و أثره في الحركة العلمية"، المؤرخ العربي، عدد 14، 1980، ص. 319

(13) ابن النديم، مرجع سابق، ص.353

(14) نفس المرجع

(15) الرافعي (أحمد): عصر المأمون، القاهرة، ط.3، 1928، م. 1 ،ص. 381

(16) اشتغل بالترجمة وعمره سبعة عشر عاما و كان يتقاضى شهريا خمسمائة دينار، مظهر جلال: حضارة الإسلام وأثرها في الرقي العلمي، القاهرة 1974 ،ص. 256.

(17) ابن الكازورني (ظهير الدين): مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد، بغداد 1970، ص. 134

(18) ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، ص. 383

(19) نفس المرجع

(20) ابن صاعد(أبو القاسم): طبقات الأمم، المطبعة الكاثوليكية-بيروت، 1912 ، ص.ص.48-49 ، نقلا عن الدوري، مرجع سابق، ص.189

(21) زيادة (نيقولا): لمحات من تاريخ العرب، دار الكتاب-بيروت 1961، ص.207.

(22) الدوري (خضر) و خلف (غانم): "بيت الحكمة في بغداد و أثره في الحياة العلمية والثقافية العربية"، التربية والعلم ، عدد 7 ، 1989/1409 ، جامعة الموصل، ص. 180

(23) السيوطي (جلال الدين): تاريخ الخلفاء، القاهرة 1964 ، ص. 258

(24) الأطرقجي، مرجع سابق، ص. 240

(25) نفس المرجع، ص. 399

(26) نفس المرجع

(27) الرافعي، مرجع سابق، ص.377

(28) السيوطي، مرجع سابق، ص. 258

(29) الرافعي، مرجع سابق

(30) أجقو ، مرجع سابق

(31) ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، ص.205

(32) الأطرقجي، مرجع سابق، ص. 344

(33) نفس المرجع

(34) ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق

(35) أنماط الترجمة الثلاث التي وضعها دريدان هي:-التقيد بالنص الأصلي، -وضع صياغة جديدة للنص، -المحاكاة

(36) التربية والعلم، مرجع سابق.